المحاضرة السادسة :الاتجاه التواصلي : سيميولوجية التواصل :

لقد كان ميلاد سميولوجيا التواصل مع إريك بويسنس الذي نشر في سنة 1923 كتاب اللغات والخطابات وهي محاولة في اللسانيات الوظيفية ، ثم أعاد النظر من جديد في الكتاب ونشر سنة 1967 كتاب بعنوان التواصل والتعبير اللساني ببروكسل ،ليكون بذلك إريك من أوائل اللسانين المناصرين لسيميولوجيا التواصل بالإضافة إلى باحثين أخرين منهم جورج مونان وبريطوا وجان مارتيني.

إذ ينطلق أصحاب هذا الاتجاه من أن التواصل يمكن أن يكون باستخدام الدوال اللغوية وغير اللغوية باعتبار أن علم السميولوجيا الذي وضع معالمه عالم اللسانيات دسوسير يتجاوز علم اللسانيات ليدرس بذلك جميع أنواع العلامات لسانية كانت أو غير لسانية.

كما يربط رواد سميولوجيا التواصل بين مجال السميولوجيا والوظيفة التي تؤديها الأنظمة السيميولوجية المختلفة سواء كانت لسانية أو غير لسانية ، والتي تقتصر في تحقيق التواصل القصدي، ومنه تبنى العلامة في هذا الإطار على ثلاثة أسس وهي الدال والمدلول والقصد الذي يعتبر معيار للتفرقة بين سميولوجيا التواصل وسميولوجيا الدلالة وكذا سيميولوجيا الثقافة.

هكذا نفهم بأن أصحاب الاتجاه التواصلي قد أضافوا لمفهوم العلامة القصد ليكونوا بذلك قد تجاوزا مفهوم دسوسير للعلامة والذي تتألف حسبه من دال ومدلول وفقط.

القصد الذي يرتبط بالتأثير وفق أصحاب هذا الاتجاه إذ يكون الهدف من استخدام العلامات (لسانية وغير لسانية) هي التعبير عن مراد الشخص وقصده.

ومنه يمكن أن يتم تعريف السميولوجيا وفق هذا الاتجاه بأنه العلم الذي يهتم بدراسة طرق التواصل والأدوات المستخدمة للتأثير على الغير والمصنوعة قصدا

محاور سميولوجية التواصل : ترتكز سيميولوجية التواصل على محورين أساسين : وهما محور التواصل ومحور العلامة

أولا :محور التواصل : وهو التواصل اللساني أو غير اللساني.

التواصل اللساني :وهو ما يبدوا في أشكال التعبير اللغوي والأفعال الكلامية التي يصدرها الناس في مواقف محددة بهدف التواصل فيما بينهم ، وهنا تقوم مفاهيم ترتبط بأعلام وضعوها أو أسسوا لها.

مفهوم دارة الكلام أو التخطاب عند دسوسير:وتبتدئ بصورة ذهنية (مدلول) عند المتكلم ، وتنتهي بصورة ذهنية مماثلة عند المتلقي مرورا بترجمتها عند المتكلم في شكل أصوات ـ تنتقل عبر الفضاء ، لتصل إلى مسامع المتلقي في شكل أصوات تنتقل عبر الفضاء ، لتصل إلى مسامع المتلقي الذي يحولها من صورة سمعية (دال) إلى صورة ذهنية (مدلول)

دارة التخاطب عند ويفر و شانون : يتم إرسال الرسالة من قبل المتكلم إلى المستقبل وهذه الرسالة يتم تشفيرها وترسل عبر القناة ،ويشترط الوضوح وسهولة القصدية هذا بالإضافة إلى عدم وجود أي مصدر من مصادر التشويش ، قصد أداء رسالة ،وبعد وصول الرسالة يقوم المرسل إليه بتفكيك شفرات الرسالة وتأويلها

مفهوم دارة التخاطب في سوكية بلومفيلد : تتضح عملية التواصل عند بلومفيلد من خلال قصة جاك وجيل التي تختصر الكلام في ثلاث وضعيات :

-الوضعية التي تسبق الكلام : وتتعلق بالمتكلم جاك الذي يحركه في إتجاه عقد عملية التواصل حافز ما هو حافز الإحساس بالجوع ، الناتج عن تقلصات المعدة وهو محرك بدوره من قبل رؤية التفاحة.

-وضعية الكلام : ويتمثل في طلب (جيل) من جاك أن يقطف لها التفاحة ،وهذا النوع من الاستجابة البديلة عن استجابة أخرى ، كان يمكن أن تحدث وهي أن تباشر جيل بنفسها قطف التفاحة بدلا من الكلام.

-الوضعية التي تلي الكلام : وتتمثل في ردة فعل (جاك) الذي تلقى الإشارة القصدية.

غير أن المتأمل في هذا التفسير يدرك أنه قد اقتصر على دراسة العملية التواصلية من وجهة نظر سلوكية فقط من خلال وجود مثير واستجابة في حين أن هناك الكثير من المثيرات لا تقتضي بالضرورة استجابة ميكانيكية ، كما أن الاستجابة وإن حدثت قد تكون عكسية ، هذا بالإضافة إلى وجود الكثير من التفاعلات الكلامية لا تصدر عن مثيرات مادية.

التواصل غير اللساني: وفي مقابل التواصل اللساني قد يحدث التواصل بالاعتماد على أنظمة غير لسانية والتي يمكن أن تصنف كالتالي :

تصنيف أريك بويسنس : أما التواصل غير اللفظي أو غير اللساني، فيعتمد على أنظمة سننية غير أنساق اللغة، وهي حسب بويسنس مصنفة حسب معايير ثلاثة:

-معيار الإشارية النسقية (العلامة النسقية أو الثابتة أو القصدية(: وهي التي لا قيمة لها ، إلا باعتبار أنها أنتجت لأجل تلك القيمة المعترف بها ،كما أنها تتميز بكونها ثابتة ومستمرة ، كإشارات المرور، المثلث والمستطيل، كما أن بعض العلامات قد تكتسب صفة الثبات والتغير بحسب المجتمع الذي أنتجت فيه كالعلم والعملة

-معيار الإشارية اللانسقية (العلامة اللانسقية أو المتغيرة أو غير الثابتة): وهي التي تتغير فيها العلاقة بين طرفيها ، بحسب الظروف والحاجة ، كما في الملصقات الإشهارية ، التي توظف اللون والشكل بهدف التأثير على المستهلك ، وتوجيه إنتباهه إلى نوع معين من السلع

.

-معيار الإشارية: حيث العلاقة جوهرية بين معنى المؤشر وشكله، كالشعارات الصغيرة التي ترسم عليها مثلا: قبعة، أو مظلة. ثم، تعلن على واجهات المتاجر دليلا على ما يوجد فيها من البضائع.

ويمكن الحديث ضمن هذا المعيار الأخير عن معيار آخر للإشارية ذات العلاقة الاعتباطية أو الظاهرية " كالصليب الأخضر الذي يشير إلى الصيدلية، ويتفرع عنه أيضا معيار للإشارية يقيم علاقة بين معنى الرسالة والعلامات التي تنتقل هذه الرسالة بواسطتها. كما يتفرع عنه أخيرا معيار للإشارية ينوب مناب المعيار الأول: فالكلام معيار للإشارية المباشرة، إذ لاشيء يحول بين الأصوات الملتقطة ودلالاتها التي رسمت لها، ولكن المورس يعد معيارا نيابيا، إذ إنه لكي يتوصل إلى المعنى الذي يريد هذا المورس أن ينقله، لابد من الانتقال من العلامة فيه إلى العلامة في الكتابة الصوتية، ثم من العلامة في الكتابة الصوتية إلى العلامة الصوتية".

-تصنيف جورج مونان :وتنقسم الأنظمة التواصلية غير اللسانية إلى الفئات التالية:

أ) الأنساق التي تنوب على اللغة : مثل أبجدية الصم والبكم وكتابة براي ونظام المورس.

ب) الأنساق القائمة بذاتها : مثل الأرقام والرموز الرياضية

ت) الأنساق الخرائطية : : ومنها الخرائط الجيولوجية وخرائط الأرصاد الجوية وغيرها من الأشكال التوضيحية التي تندرج ضمن السميولوحيا التمثيلية.

ث) الأنساق الفنية : كالصور والتمثيلات الإبداعية الفنية.

في حين إقترحت جان مارتيني بدورها تصنيفا للعلامات تقوم على التمييز بين ماهو طبيعي وماهو مصطنع من قبل الإنسان.

فالعلامات الطبيعية تتمثل في القرائن ، حيث يكون الدال ظاهرا والمدلول خفيا : فالدخان مثلا يعتبر قرينة مادامت النار غير مرئية وتنقسم القرينة بدورها إلى ثلاث أنواع:

أ) التوقعات والتنبؤات : مثل الليلة المقمرة التي تنبئ بتحسن الطقس.

ب) الأعراض : مثل الحمى ، أو احمرار الوجه الذي يشير إلى وجود مرض

ت) البصمات والآثار : مثل أثار الأقدام على الطريق

وقد استنبطت مارتيني من خلال هذه الأنماط الثلاثة علاقات زمنية قد تتبادلها القرينة مع ما تدل عليه: فقد تكون سابقة على ما تدل عليه (كما في التنبؤ والتوقع) ، وقد تكون متزامنة معه (في حال الأعراض) ،وقد تعقبه بمدة زمنية قصيرة أو طويلة (كما هو الشأن بالنسبة للبصمات أو الأثار.(

كما لاحظت مارتيني أيضا أن القرينة قد تستعمل من طرف الإنسان فتأخذ طابعا إصطناعيا يضاف إلى طابعها الطبيعي مثلا : إذا أوقد الإنسان النار للإعلان عن موقعه ،وهنا يتحول الدخان من قرينة طبيعية إلى علامة اصطناعية.

ثانيا :محور العلامة : إن تطبيق شرط القصدية يسمح لنا بالتميز بين نوعين من العلامات:

- علامات تتوفر على قصد التواصل وتسمى دلائل/signes
- علامات لا تتوفر على القصد، ويمكن الحديث حينئذ عن الإماراتIndices

إذ يهمل أصحاب هذا الاتجاه الأمارة باعتبارها علامة غير قصدية بالرغم من دلالتها فمثلا الطريقة التي يتحدث بها الشخص يمكن أن توحي لنا بأنه يعاني من مشاعر القلق ، نطق اسم شخص غير معروف يمكن أن تكشف لنا بأنه أجنبي.

في حين يرى بريتو بأن العلامة مكونة من دال ومدلول ، بينهما مناسبة ما وتنقسم من منظور اتصالي إلى:

- الإشارة : هي واقعة ذات سلوك سيميولوجي ،ترتبط طبيعيا بما تحيل عليه بعلاقة الملازمة ، ولكن في غياب ما تشير إليه ، أو تلازمه ، وإلا بطل مفعولها ،ومن أمثلة ذلك :البصمات المعتمدة في تحريات الشرطة والتي تقوم بدور الإحالة على السارق ، وتحدد هويته .

- المؤشر : وهو بمفهوم بريتو إشارة اصطناعية لاقيمة لها ، إلا في حضور المتلقي لها ، كما نجده في العلامات البحرية وإشارات المرور.

- الأيقون : ويدل على ما يحيل عليه بطريقة المشابهة أو المماثلة كالصورة الفوتوغرافية ، والتمثال ،ونظير ما نجده في المسرح من استعمال الشجرة الحقيقية ، وهي علامة إيقونية طبيعية ، وجميع الرسومات التي تقوم بدور اختزال الواقع ، وهي بهذا الوصف علامات إيقونية إبهامية

- الرمز: وهو ما يعتبره بيرس علامة العلامة ، أي أنه أنتج ليقوم مقام علامة أخرى مقصودة ، كدلالة الثعلب على المكر ، دلالة السلحفاة على البطء ، بإعتبارها علامات عرفية لا رابط بين طرفيها ، إلا ما يكرسه المجتمع من إحالة الرمز على موضوعه.